هو العليم

معالم حكومة يزيد

وسبب خروج الإمام الحسين عليه السلام على حكومته

بحث منتخب من «نور ملكوت القرآن»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

@MadrastAlwahy

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد جسّد الحسين عليه السلام الأنموذج الحيّ والمثال الجليّ لهدف جدّه رسول الله وأبيه عليّ المرتضى وأُمّه فاطمة الزهراء وأخيه الحسن المجتبى في بيوتٍ:

{أَذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ ويُسَبِّحُ لَهُ فيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَوةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فيهِ الْقُلُوبُ وَالأبْصَارُ}[1].

صور من مثالب يزيد بن معاوية

يقابله في الجانب الآخر يزيد اللعين مثال الغرور والأنانية والتكبر والتمرّد، بقدرته الجهنميّة والشيطانيّة

[1] الآيتان ٣٦ و٣٧، من السورة ٢٤: النور.

التي أخضعت الشرق والغرب[1]، يزيد المُعلِن لشرب الخمور، الساهر ليله في مجالس الخمر والسكر مع المغنّيات، الناكح للمحارم، اللاعب بالقرود؛ ولم يكن ليفعل هذا لوحده، بل إنّ شرب الخمر والسكر والتغني صار رائجاً في عهده، حتى كان عمّاله في الحرمَين الشريفين

---

[1] يقول المستشار عبدالحليم الجنديّ -وهو من أركان المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة في مصر- في كتابه النفيس «الإمام جعفر الصادق» ص ٥٢: أنهى يزيد سنوات حكمه بتجريد جيش على المدينة يسفك دمها، وينتهك حرمها، في وقعة الحرّة سنة ٦٣. ليقتل فيها ثمانين من صحابة الرسول، فلم يبق بعدهم على ظهر الأرض بدريٌّ واحد! وقتل من قريش والأنصار ثمانمائة! ومن الموالي والتابعين وسائر الناس عشرة آلاف، ثمَّ لفظ آخر أنفاسه وجيشه يحاصر الكعبة بعد أن أحرقها! وأي نهاية لبشر أفظع من هذه النهاية! بل أي نهاية لدولة أبلغ في الدلالة على غضب السماء عليها!

فما كان حرق الكعبة ولا قتل الصحابة وتذبيح الآلاف إلا تتابعاً للأحداث التي بدأ بها السنوات الثلاث. وختماً طبيعيّاً للبداية المفظعة لحكمه، وجزاء له ولدولته، ينزله بها وبنفسه.

لقد استفتح حكمه بجريمة كربلاء في يوم عاشوراء! في العاشر من المحرّم سنة ٦١، فوقع فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت مثله أو قريباً منه، من استشهاد أبي الشهداء: الحسين بن عليّ الذي دعا له النبيّ: «اللَهُمَّ إنِّي احِبُهُ، فَأحِبَّ مِنْ يُحِبُّهُ»، والذي عظّمه الخلفاء الراشدون والناس جميعاً على مدار العصور، وهو القدوة في عطائه وعبادته وتواضعه وشجاعته في كلّ موقف: في الجمل وصفّين والنهروان إلى جوار أمير المؤمنين عليّ.

مكّة والمدينة يتجاهرون بشرب الخمر ويعقدون مجالس اللهو واللعب على مرأىً من المسلمين ومسمع. وكان خراج المسلمين والضرائب المستحصلة منهم يُصرف في هذه المطامع، في حين ساد الفقر والفاقة بين الضعفاء والمساكين فغلب عليهم، حتّى لم يبقَ لهم ما يسترون به عوراتهم، ولا ما يبلغون به كفافهم ويسدّون به رمقهم.

هناك في الجانب الآخر رجل بليغ تمرّس في الفصاحة والبلاغة وقول الشعر بداهةً، يُوظّف أشعاره في السخرية من الخالق والقيامة والنبيّ والقرآن وحجّ البيت والأذان والصلاة، ويرى معانقة حبيبته أمّ كلثوم أولى من الحفاظ على حدود الإسلام وثغوره من الضياع أو صيانة الأسرى من ذلّ الأسر، فيسدّد بعمق فكرته وشدّة رأيه ضربته لاستئصال جذور الولاية وأُصولها، ويقدّم في أشعاره الخمر للإمام المطلق على الأرض خامس أهل الكساء وسبط سيّد المرسلين، ويدعوه إلى شربه بلا حياء ولا مواربة.

غاية الحسين عليه السلام من القيام على حكومة يزيد

و نلحظ هنا طلوع آية {فَيَنسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} فيتحرّك سيّد الشهداء عليه السلام من جنوب الحجاز إلى الكوفة والشام لدحره وفضحه وقمع أمره، ويُعلن للدنيا بندائه الملكوتيّ وآهاته الحرّى وأنينه الصادع للأكباد أن: أيّها الراقدون الغافلون! يا من أطار لبّهم وأعمى بصيرتهم الانغماس في الدنيا والملاهي! ويا من أقعدتهم السجّادة والمسبحة! انهضوا فلقد أُهين القرآن! انهضوا فيزيد يتغنّى في أشعاره بالسخريّة ممّن جاء بالقرآن! ولقد تبدّد الدين والشرف والأصالة، وآلت عاقبة حروب بدر والأحزاب وحُنين التي جرت لإقرار القرآن إلى حكومة جائرة ظالمة بِيَدِ الجائرين الذين نصبوا مجالس الشراب فوق دماء شهداء أحد، والذين استمدّوا القوّة والسلطة من دماء شهداء بدر والأحزاب فصاروا يعقدون الآن مجالس الغناء واللهو واللعب.

أيّها النائمون! أنا الحسين، أمضى على بصيرة من أمري لأهدّ قصر يزيد على أُمِّ رأسه، وسأوفّق في هذا الأمر، لا

فرق إن قتلتُه أم قُتلت، فالأمر سيّان عندي؛ والهدف والقصد واحد لديّ، فلا ضير عندي إن اختلفت إليه السبل، فلواء الظفر في يدي على كلّ حال، والحياة مع الجنايات العلنية لهذا الرجس الكافر هي الموت بعينه؛ والموت في ظلّ حدّ السيف القاطع، أو هدفاً للسهام المثلّثة الشعب ورجم حجارة جيش الكوفة هو عين الحياة.

لقد كان سيّد الشهداء عليه السلام يرى حتفه كوضوح الشمس، وسَوْق أهله سبايا رأي العين، وهو يعلم أن لابدّ لتحقيق هدفه من ذلك.

و لقد تمثّلت غايته في صرخته المظلومة المدوّية: إنّ حكومة يزيد ما هي إلا خلف وامتداد لحكومة معاوية وحكومة الخلفاء الغاصبين، وامتداد وخلف لحكومة أبي سفيان الجاهليّة، فالمحن والآلام والمشاقّ التي تحمّلها النبيّ الأكرم صابراً محتسباً ستذهب جميعاً أدراج الرياح، وسيضيع الدين ويتلاشى هباء منثوراً.

فحين أعلم أنّي سأُقتل، ويبقى صوت المؤذِّن هدّاراً من فوق المأذنة بنداء اللَه أكبر فأنا المنتصر، لأنّي نلتُ لقاء ربّي، وعملتُ بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقي.

والويلُ من يوم أحيا فيه فأرى حقّ المظلومين يُهدر، وسيوف الظالمين تحزّ رقاب المستضعفين، وأموال المسلمين تُنفق باسم الرئاسة والحكومة في الأغراض الشخصيّة، فذلك يوم لا حياة لي فيه.

لا حياة لي يوم أرى يزيد يحتسي الخمر في دولة الإسلام وفي مدينة الرسول علناً ولا يستحيي؛ فأنا أسعى لحياتي، وحياتي مرهونة بحياة القرآن، وحياة القرآن مرهونة بحياتي.

إنّ عظمة وجلال نهضة سيّد الشهداء عليه السلام لن يدركها ويلمسها جيّداً من لم يطّلع ويدرك عمق التأريخ السياسيّ لتلك الفترة العصيبة، ويدرس وضع حكومة

يزيد وكيفيّة تسلّطه وسيطرته على البلاد الإسلاميّة، وسعيه الشديد في ترويج المنكرات وإشاعة الفحشاء.[1]

أشعار يزيد في وصف الخمر بحضور الحسين عليه السلام

أورد أبو الفرج الأصفهانيّ أنّ معاوية أرسل يزيد إلى الحجّ، فجلس يزيد بالمدينة على شراب، فأستأذن عليه عبدالله بن العبّاس والحسين بن علي فأمر بشرابه فرُفع،

---

[1] جاء في «الغدير» ج ٣، ص ٢٥٩ و٢٦٠: قال مولانا الحسين عليه السلام لمعاوية لمّا أراد أخذ البيعة له [أي ليزيد]: تُرِيدُ أنْ تُوهِمَ النَّاسَ؟! كَأنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوباً، أو تَنْعَتُ غَائِباً، أوْ تُخْبِرُ عَمَّا كَانَ مِمَّا احْتَوَيْتَهُ بِعِلْمٍ خَاصٍّ! وقَدْ دَلَّ يَزِيدُ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْقِعِ رَأيِهِ. فَخُذْ يَزِيدَ فِيمَا أخَذَ بِهِ مِنِ اسْتِقْرَائِهِ لكِلابَ المهَارِشَةَ*، عِنْدَ التَّحَارُشِ، والحَمَامَ السَّبْق لأتْرَابِهِنَّ، وَالقَيْنَاتِ ذَوَاتِ المَعَازِفِ** وضُرُوبِ المَلَاهِي؛ تَجِدْهُ نَاصِراً! دَعْ عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ؛ فَمَا أغْنَاكَ أنْ تَلْقَى اللهَ بِوِزْرِ هَذَا الخَلْقِ بِأكْثَرَ مِمَّا أنتَ لَاقِيهِ.***

وقال عليه السلام لمعاوية أيضاً: حَسْبُكَ جَهْلُكَ؛ أثَرْتَ العَاجِلَ عَلَى الآجِلِ! فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: وأمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أنَّكَ خَيْرٌ مِن يَزِيدَ نَفْساً، فَيَزِيدُ واللهِ خَيْرٌ لُأمَّةِ مُحَمَّدٍ مِنْكَ! فَقَالَ الحسَيْنُ: هَذَا هُوَ الإفْكُ وَالزُّورُ! يَزِيدُ شَارِبُ الخَمْرِ ومُشْتَرِي اللَّهْوِ خَيْرٌ مِنِّي؟!****

* المُهَارَشَةُ: تَحرِيشُ بعضها على بعض.

** المَعَازِفُ، جَمعُ مِعْزَفٍ: آلاتٌ يُضرَبُ بها كالعُود.

*** «الإمامة والسياسة» ج ١، ص ١٥٣.

**** «الإمامة والسياسة» ج ١، ص ١٥٥.

وقيل له: إنّ ابن عبّاس إن وجد ريح شرابك عرفه، فحجبه وأذِنَ للحسين عليه السلام. فلمّا دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب فقال:

لِلَّهِ دَرُّ طِيبِكَ هَاذ مَا أطْيَبَهُ! ومَا كُنتُ أحْسِبُ أحَداً يَتَقَدَّمُنَا فِي صَنْعَةِ الطِّيبِ. فَمَا هَذَا يَا بْنَ مُعَاوِيَةَ؟!

فقال يزيد: يا أبا عبد الله! هذا طيب يُصنع لنا بالشام. ثمّ دعا بقدح فشربه ثمّ دعا بقدح آخر، فقال: اسقِ أبا عبد الله يا غلام.

فَقَالَ الحُسَيْنُ: عَلَيْكَ شَرَابَكَ أيُّهَا المرْءُ! لا عَيْنَ عَلَيْكَ مِنِّي.

فَشَرِبَ وقَالَ:

فَوَثَبَ الحسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلامُ وقَالَ: بَل فُؤَادَكَ يَا بْنَ مُعَاوِيَةَ.[1]

وأورد في «شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور» – وهو من الكتب النفيسة ذات التحقيقات الرشيقة– عن كياء الهراسيّ (الذي سمّاه ابن خلّكان عليّ بن محمّد الطبريّ)، هذه الأبيات عن يزيد بن معاوية:

---

[1] «الأغاني» ج ١٤، ص ٦١، طبعة ساسي، ونقله كذلك الميرزا أبو الفضل الطهرانيّ في «شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور» ص ٢٨٨، وعن «كامل التواريخ» لكنّي لم أعثر عليه عند مراجعتي لطبعتين من «كامل التواريخ».

وينبغي العلم أنّ البيت الرابع قد ورد في «شفاء الصدور» بلفظ «لم تبت»، وذكره في «ناسخ التواريخ» ج ٣، ص ١٧، مجلّد الإمام السجّاد عليه‌السلام، الطبعة الحروفيّة، بلفظ «لم تنب»، وأورده في «الأغاني» بلفظ «لم تتب».

وباعتبار أنّ نقل «ناسخ التواريخ» كان في نظري أقرب لإفادة المعنى فقد اعتمدته في الترجمة الفارسيّة للشعر. وذكر في «الأغاني» أنّ هذه الأشعار ليزيد بصورت سائب خاثر وهو مغنٍّ معروف، أي أنّ سائب كان يأخذ الأشعار التي ينشدها يزيد حال شربه وسكره فيتغنّي بها.

يقول في «أقرب الموارد» في مادّة بطي: الباطية: الناجود، وعن أبي عمرو أن الباطية إناء من الزجاج يُملأ ويوضع وسط مجلس الشراب يغرف منها الشاربون فيملأون أقداحهم. وجمعها بَواط.

ويقول في مادّة كَلَّ: كَلَّلَ فلاناً: ألْبَسَهُ الإكْلِيلَ، والإكْلِيلُ: التَّاجُ، وشِبهُ عِصَابَةٍ تُزَيَّنُ بالجَوْهَر. وجمعه أكاليل. ويقول في مادّة تَبَلَ: تَبَلَهُ تَبْلًا بِعَقْلِهِ؛ تَبَلَهُ الحُبُّ: أسْقَمَهُ وأفْسَدَهُ.

أشعار يزيد الالحاديّة في هجاء رسول الله والسخرية بيوم المعاد

و روى كذلك عن سبط ابن الجوزيّ عن ابن عقيل قال:

و ممّا يدلّ على كفر يزيد وزندقته أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أوّلها:

وروى القُزَغْلِيّ[1] عن يزيد أنّه أنشد هذا البيت:

[1] «شفاء الصدور» ص ٢٩٢.

و قال أيضاً إنّ [مِن] أقوال يزيد:

و في «مروج الذهب» ورد أنّ يزيد أرسل مُسلِمَ بْنَ عَقَبَة لحرب عبد اللَه ابن الزبير، فأنشد هذين البيتين وكتب بهما إلى ابن الزبير:

و روى أيضاً في «شفاء الصدور» هذه الأبيات عن يزيد:

أشعار يزيد الصريحة في الكفر

و نُقل من ديوانه كما شهد بذلك سبط ابن الجوزيّ، وكما هو معروف في كتب المقاتل، أنّه أنشد هذين البيتينِ

اللذين يكشفان عن كفره ونفاقه القديمينِ عند ورود سبايا أهل البيت الشام وإشرافهم على رُبى جيرون:

وفي «التذكرة» لسبط ابن الجوزيّ رواية عن الزُهريّ أنّه لمّا جيء بالرؤوس إلى دمشق كان يزيد في منظره على جيرون، فأنشد لنفسه: «لَمَّا بَدَتْ» إلى آخر البيتينِ المذكورينِ.[1]

يزيد ينكت بالخيزران ثغر الحسين عليه السلام، [ويبرّر فعله بمنطق عُمر]

و أورد ابن الأثير الجَزَريّ أنّه حين وُضع الرأس المبارك لسيّد الشهداء عليه السلام بين يَدَي يزيد وحدّثوه بأمره، فأذِنَ يَزيد للناس فدخلوا عليه والرأس بين يديه

[1] «شفاء الصدور» ص ٢٩٣؛ وكذا في «تذكرة الخواصّ» ص ١٦٤، الطبعة الحجريّة.

ومعه قضيب وهو ينكت به ثغره بشكلٍ أثّر فيه[1]، ثمّ قال[2]: إنّ هذا (الحسين) وإيّانا كما قال الحصين بن الحُمام:

فقال له أبو بَرزَة الأسْلَمِيّ: أتَنْكُتُ بِقَضِيبِكَ في ثَغْرِ الحُسَيْنِ؟!

أمَا لَقَدْ أخَذَ قَضِيبُكَ في ثَغْرِهِ مَأخَذاً لَرُبَّما رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ يَرْشُفُهُ، أمَا إنَّكَ يَا يَزِيدُ تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَابْنُ زِيادٍ شَفِيعُكَ؛ وَيَجِيءُ هَذَا وَمُحَمَّدٌ شَفِيعُهُ. ثُمَّ قَامَ فَوَلَّى.[3]

ثمّ قال يزيد: واللهِ يا حسين لو كنتُ أنا صاحبك ما قتلتُك. ثمّ قال: أتَدْرُونَ مِنْ أيْنَ أتَى هَذَا؟

---

[1] «مروج الذهب» ج ٣، ص ٦٩.

[2] «شفاء الصدور» ص ٢٩٢ و٢٩٣؛ وكتاب «تذكرة الخواصّ» ص ١٤٨، الطبعة الحجريّة.

[3] «شفاء الصدور» ص ٢٩٢ و٢٩٣؛ وكتاب «تذكرة الخواصّ» ص ١٤٨، الطبعة الحجريّة.

قَالَ: أبِي عَلِيٌّ خَيْرٌ مِن أبِيهِ. وفَاطِمَةُ امّي خَيْرٌ مِن امِّهِ. وجَدِّي رَسُولُ اللهِ خَيْرٌ مِنْ جَدِّهِ. وأنَا خَيْرٌ مِنْهُ وأحَقُّ بِهَذَا الأمْرِ مِنْهُ.

فَأمَّا قَوْلُهُ: أبُوهُ خَيْرٌ مِنْ أبِي؛ فَقَدْ حَاجَّ أبِي أبَاهُ إلى اللهِ. وعَلِمَ النَّاسُ أيُّهُمَا حُكِمَ لَهُ. وأمَّا قَوْلُهُ: أمِّي خَيْرٌ مِنْ امِّهِ، فَلَعَمْرِي فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ امِّي. وأمَّا قَوْلُهُ جَدِّي رَسُولُ اللهِ خَيْرٌ مِن جَدِّهِ فَلَعَمْرِي مَا أحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليوم الآخِرِ يَرَى لِرَسُولِ اللهِ فِينَا عَدْلاً ولا نِدَاً.

وَلَكِنَّهُ إنَّمَا اتِيَ مِنْ قِبَلِ فِقْهِهِ، ولَمْ يَقْرَأ: {قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ}.[1]

[ردّ العلامة الطهراني على منطق يزيد]

و نشاهد هنا أنّ البائس قد خلط بلا فهم بين القدرة الظاهريّة التكوينيّة وبين الحقّانيّة والولاية، فهو يشيّد

---

[1] «الكامل في التاريخ» ج ٤، ص ٨٤ و٨٥، طبعة دار صادر، بيروت سنة ١٣٨٥. والآية المباركة هي الآية ٢٦، من السورة ٣: آل عمران: قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ وأورد هذه القصّة الطبريّ أيضاً في تأريخه ج ٤، ص ٣٥٥، طبعة مطبعة الاستقامة.

منطقه على المبدأ الميكافيللّيّ[1] الذي يعتبر الحقّ قائماً على أساس القدرة والتسلّط، وتابعاً لمن قهر بالسيف، وهو نفسه منطق عُمَر الذي بحثنا عنه بالتفصيل في سلسلة كتب «معرفة الإمام»[2] وأثبتنا أنّه منطق مخالف للعقل والوجدان ورسالات الأنبياء، ومخالف لتنزيل الكتب السماويّة ودعوة الناس للعدل والإحسان.

فهذا المنطق هو شريعة الغاب والوحوش الذي يبرِّر به كلُّ متسلّط فتكَه بالضعفاء البائسين، ويوجّه به كلّ ظالم ظلمه وإجحافه.

وسيتصوّر كلّ من تشبّه بيزيد في نزعته، وبعمر في سيرته، وكلّ ميكافيللّيّ الأسلوب والسنّة أنّ أنواع قهرهم وجبروتهم وتسلّطهم حقٌّ مُسلّمٌ لهم، وهذا ما سيقطع الطريق على تربية النفس وتكميلها وتهذيبها ورياضتها للعلوّ والسموّ، وسيسوق العالم في اتّجاه الزوال والدمار.

---

[1] [ميكافيللي مفكّر و فيلسوف سياسي إيطالي عاش إبّان عصر النهضة، و هو مؤسّس المدرسة النفعية و الواقعية السياسية، و صاحب مقالة: الغاية تبرّر الوسيلة. المترجم]

[2] «معرفة الإمام» ج ٧، الدرس ٩١ إلى ٩٣.

[يزيد صاحب حراب وجوارح كلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب]

وقد ورد في «مروج الذهب» أنّ يزيد صاحب حراب وجوارح كلاب وقرود وفهود[1] ومنادمة على الشراب.[2]

و جلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد وذلك بعد قتل الحسين عليه السلام، فأقبل على ساقيه فقال:

اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّي مُشَاشِي

---

[1] يقول في «أقرب الموارد» الفهد حيوان مفترس يُصاد به، سيّئ الخلق وشديد الغضب وثّاب، ويوصف بكثرة النوم، فيقال: أنوم من فهد.

[2] ويقول (السيّد شرف الدين» في كتابه «النصّ والاجتهاد» في جنايات يزيد: ثمّ توجّه مجرم بن عقبة لقتال ابن الزبير (و هو إذ ذاك بمكّة) وقد بويع بالخلافة، فهلك المجرم في الطريق وتأمّر بعده الحصين بن نمير بعهدٍ من يزيد، فأقبل بجيشه حتى نزل على مكّة المكرّمة، ونصب عليها العرّادات والمنجنيق، وفرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة في كلّ يوم يرمون بها، فحاصروهم بقيّة المحرّم وصفر وشهرَي ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت طاغيتهم يزيد، وكانت المجانيق أصابت البيت الحرام فهدمته مع الحريق الذي أصابه.

ثُمَّ أمَرَ المُغنِّينَ فَغَنُّوا بِهِ.[1]

و ورد في عبارة سبط ابن الجوزيّ بعد هذين البيتين بيت ثالث بهذه العبارة:

و نقل صاحب «شفاء الصدور» هذا البيت في كتابه عن ابن الجوزيّ، وكانت عبارته هي: وقد نقل سبط ابن الجوزيّ تفصيل هذه القصّة وذكر أنّ يزيد استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرّب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه؛ وسكر ليلةً وقال للمغنّي غنِّ، ثمّ قال يزيد بديهيّاً: اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّي مُشَاشِي إلى آخر الأبيات الثلاثة التي ذكرناها.[2]

تمثّل يزيد بأبيات ابن الزبعرى صريح في الكفر

و أورد سبط ابن الجوزيّ في كتاب «التذكرة»: وأمّا المشهور عن يزيد أنّه لمّا حضر الرأس بين يديه جمع أهل

---

[1] المُشاشة جمعها مُشاش: وهي النفس والطبع، يقال: فُلانٌ طيّب المُشَاشَة يعني طَيِّب الخُلْقِ. («أقرب الموارد»).

[2] «شفاء الصدور» ص ٢٩٨.

الشام وجَعَلَ يَنْكُتُ عَلَيْهِ بِالخَيْزَرَانِ ويَقُولُ: أَبْيَاتَ ابْنِ الزِّبَعْرَى:

قال الشعبيّ: وزاد فيها يزيد فقال:

مقولة يزيد صريحة في قتل الإمام الحسين بحميّة جاهليّة

يقول أبو الفرج ابن الجوزيّ في رسالته «الرَّدُّ عَلَى المتَعَصِّبِ العَنِيدِ المَانِعِ مِن ذَمِّ يَزِيد»[1]: لَيْسَ العَجَبُ مِنْ

[1] «تذكرة خواصّ الامّة في معرفة الأئمّة» أو «تذكرة الخواصّ من الامّة تذكر خصائص الأئمّة» ص ١٤٨، تأليف جمال الدين يوسف، سبط الشيخ أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزيّ، وهذا الرجل سبط ابن الجوزيّ المعروف الذي كان تلميذاً لابن تيميّة وله كتاب «الردّ على المتعصّب العنيد» كما سيأتي لاحقاً؛ وكتاب «تذكرة الخواصّ» الذي يعدّ من الكتب المشهورة والمعروفة والحاوي للمطالب العالية التي يستدلّ بها علماء الشيعة من آثار هذا السبط. لقد ذكر ابن كثير الدمشقيّ في «البداية والنهاية» ج ٨، في ثلاثة موارد تمثّل يزيد بأشعار ابن الزبعرى، الأوّل: في ص ١٩٢ عن محمّد بن حميد الرازيّ- وهو شيعيّ- قال: حدّثنا محمّد بن يحيى الأحمريّ، قال: حدّثنا ليث عن مجاهد، قال: لمّا جيء برأس الحسين فوضع بين يدي يزيد، تمثّل بهذه الأبيات:ليت أشياخي ببدر شهدوا***جَزَعَ الخَزْرَجَ في وَقْعِ الأَسَلْفأهلّوا واستهلّوا فَرَحاً***ثُمَّ قالوا لي

فِعْلِ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ وعُبَيْدِ اللَهِ بْنِ زِيَادٍ، وإنَّمَا العَجَبُ مِنْ خِذْلانِ يَزِيدَ وضَرْبِهِ بِالقَضِيبِ عَلَى ثَنِيَّةِ الحُسَيْنِ، وإغَارَتِهِ عَلَى المَدِينَةِ.

أفَيَجُوزُ أنْ يُفْعَلَ هَذَا بِالخَوَارِجِ؟ أوَ لَيْسَ في الشَّرْعِ أنَّهُمْ يُدْفَنُونَ؟

أمَّا قَوْلُهُ: لِيَ أنْ أسبِيَهُمْ؛ فأمْرٌ لا يَقْنَعُ لِفَاعِلِهِ ومُعْتَقِدِهِ بِاللَّعْنَةِ؟

وَ لَوْ أنَّهُ احْتَرَمَ الرَّأسَ حِينَ وُصُولِهِ وصَلَّى عَلَيْهِ ولَمْ يَتْرُكْهُ في طَسْتٍ ولَمْ يَضْرِبْهُ بِقَضِيبٍ؛ مَا الذي كَانَ يَضُرَّهُ

هَنِيئاً لا تَسَلْحِينَ حُكَّتْ بِفِناءِ بَرْكها*** واستحرَّ القَتلُ في عبد الأسَلْقد قتلْنا الضِّعفَ من أشرافِكم*** وعدَلْنا ميلَ بَدرٍ فاعْتَدَلْقال مجاهد: نافق فيها؛ واللَهِ ثمّ واللَهِ ما بَقِي في جيشه أحدٌ إلّا تركَه. أي ذَمَّه وعابَه!**والثاني**: في ص ٢٠٤: عن تاريخ ابن عساكر في ترجمة ريّا حاضنة يزيد، أنّ يزيد حين وُضع رأس الحسين بين يديه تمثّل بشعر ابن الزبعرى، يعني قوله:ليت أشياخي ببدر شهدوا***جَزَعَ الخَزْرَجَ في وَقْعِ الأسَلْقال: ثمّ نصبه بدمشق ثلاثة أيّام، ثمّ وضع في خزائن السلاح حتى كان زمن سليمان ابن عبدالملك، جيء به إليه وقد بقي عظماً أبيض فكفّنه وطيّبه وصلّى عليه ودفنه في مقابر المسلمين.**والثالث**: في ص ٢٢٤: في واقعة الحَرَّة حيث تمثّل به آنذاك.

وقَدْ حَصَلَ مَقْصُودُهُ مِنَ القَتْلِ؟ وَلَكِنْ أحقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ، ودَلِيلُهَا مَا تَقَدَّمَ مِن إنْشَادِهِ:

ثمّ يقول ابن الجوزيّ: وهذه الأبيات لابن الزبعرى نقل منها بعضها، وذلك لأنّ المسلمين قتلوا منهم عدداً يوم غزوة بدر، وقتلوا منهم آخرين يوم أحد، لذا فقد استشهد يزيد بهذه الأبيات، ويبدو أنّه غيّر بعض فقراتها. ويكفيه نفس استشهاده بها خزياً ووبالاً وخذلاناً.[1]

و ورد في «الفتاوى الكبير» وهو من الاصول المعتمدة لأهل السنّة رواية فيها:

اكْتَحَلَ يَزِيدُ يَوْمَ عَاشُورَاء بِدَمِ الحُسَيْنِ وبِالإِثْمِدِ لِيَقِرَّ عَيْنُهُ.

[1] يقول حاجي خليفة الكاتب الحلبيّ في كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» ج ١، ص ٨٣٩، طبعة سنة ١٣٦٠: هذا الكتاب لأبي الفرج عبدالرحمن بن عليّ بن الجوزيّ، وهو كتاب مختصر أوّله هذه العبارة: **الحمدُ للّه كُفْوَ جَلالِه.**

و يتّضح من هذا أنّ الاكتحال يوم عاشوراء يرجع إلى فعل يزيد: لَعَنَهُ اللهُ ومَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ.[1]

و نرى من جانب آخر أنّ خبر شهادة الحسين عليه السلام يصل المدينة فيفرح حاكمها (عمرو بن سعيد) وهو من بني أميّة فيضحك ويتمثّل بشعر عمرو بن معدي كرب، ثمّ يقول متهكّماً غامزاً: وَاعِيَةٌ كَواعِيَةِ عُثْمَانَ.[2]

---

[1] «شفاء الصدور» ص ٢٩٨.

[2] يقول آية اللَه السيّد شرف الدين العامليّ رحمة اللَه عليه في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص ٣٤٠ و٣٤١، الطبعة الثانية:

وأمّر عليهم (معاوية) شرّيره المتهتّك وسكّيره المفضوح، فكان منه في طفّ كربلاء مع خامس أصحاب الكساء، وسيد شباب أهل الجنة ما أثكل النبيّين وأبكى الصخر الأصمّ دماً، ورمى المدينة الطيّبة بمجرم بن عقبة- بعهد إليه في ذلك من أبيه-* فكانت أمور تكاد السماوات يتفطّرن منها، وحسبك أنّهم أباحوا المدينة الطيّبة ثلاثة أيّام، حتى افتضّ فيها ألف عذراء** من بنات المهاجرين والأنصار، وقتل يومئذٍ من المهاجرين والأنصار وأبنائهم وسائر المسلمين عشرة آلاف وسبعمائة وثمانون رجلاً، ولم يبق بعدها بدريّ، وقتل من النساء والصبيان عدد كثير، وكان الجنديّ يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من امّه ويضرب به الحائط حتى ينثر دماغه على الأرض وامّه تنظر إليه. ثمّ أمروا بالبيعة ليزيد على أنّهم خول وعبيد، إن شاء استرقّ، وإن شاء أعتق، فبايعوه على ذلك وأموالهم مسلوبة، ورحالهم منهوبة، ودماؤهم مسفوكة، ونساؤهم مهتوكة. وبعث مجرم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد. فلمّا ألقيت بين يديه تمثّل بقول القائل:

قول ابنة عقيل بن أبي طالب حين سماعها بشهادة الحسين عليه السلام

و قد أورد كلّ من المسعوديّ وابن كثير الدمشقيّ وابن الأثير الجزريّ في تواريخهم: ودخل البشير على عمرو

---

* ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا* - الأبيات.

* كما نصّ عليه الإمام ابن جرير الطبريّ في الصفحة الأخيرة من حوادث سنة ٦٣ من أوائل الجزء ٧ من تأريخه، وابن عبد ربّه المالكيّ، حيث ذكر وقعة الحَرّة في الجزء الثاني من عقده الفريد.

ولم يبال يزيد ولا أبوه بقول رسول اللَه صلّى اللَه عليه وآله وسلّم: مَن أخافَ المَدِينَةَ أَخَافَهُ اللَه عَزَّ وجَّلَ وعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَهِ والْمَلائِكَةِ والنَّاسَ أجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفاً ولا عَدْلا. (أخرجه الإمام أحمد من حديث السائب بن خلّاد بطريقين إليه في ص ٩٦ من الجزء ٤ من مسنده).

** كما نصّ عليه السيوطيّ في «تاريخ الخلفاء» وعلمه جميع الناس، حتى قال ابن الطقطقيّ في ص ٧. (من تأريخه المعروف بـ«الفخريّ» ما هذا نصّه: فقيل إنّ الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوّج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول لعلّها افتضّت في وقعة الحَرّة - انتهى.

وقال الشبراويّ في ص ٦٦ من كتابه «الإتحاف»: وافتضّ فيها ألف بكر، وحمل فيها من النساء اللائي لا أزواج لهنّ نحو ألف امرأة. (قلت) وقال ابن خلّكان، حيث ذكر وقعة الحرّة في ترجمة يزيد بن القعقاع القارئ المدنيّ من وفيّاته، ما هذا نصّه: كان يزيد بن معاوية في مدّة ولايته قد سيّر إلى المدينة جيشاً مقدمه مسلم بن عقبة المريّ فنهبها وأخرج أهلها إلى هذه الحرّة فكانت الوقعة فيها، وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ، حتى قيل إنّ بعد وقعة الحرّة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور.

بن سعيد فقال: ما وراؤك؟ قال: ما سرَّ الأمير؛ **قُتِلَ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ**. فقال: نادِ بقتله، فنادى، **فَصَاح نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ وخَرَجَتْ ابْنَةُ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ومَعَهَا نِسَاؤُهَا حَاسِرَةً تَلْوِي ثَوْبَهَا**[1] وَهي تَقُولُ:

يقول ابن الأثير: فلمّا سمع عمرو بن سعيد أصواتهنّ ضحك وقال:

---

[1] وردت في عبارة المسعوديّ وابن الأثير بلفظ حَاسِرَةً، ولكن وردت في عبارة ابن كثير **نَاشِرَةً شَعْرَهَا وَاضِعَةً كُمَّهَا عَلَى رَأْسِهَا.**

و أوردها الشيخ المفيد في «الإرشاد» ص ٢٧٠، الطبعة الحجريّة، بهذه العبارة: **خرجت امّ لقمانَ بنتُ عقيل بن أبي طالبٍ رحمةُ اللَه عليهم حين سَمِعَتْ نَعِيَ الحسين، حاسرةً ومعها أَخَواتُها امّ هاني وأسماءُ ورَمْلة وزينبُ بناتُ عقيل بن أبي طالب رحمة اللَه عليه تَبكي قَتْلاها بالطفوف وهي تقول....**

و يقول الطبريّ في تأريخه، ج ٤، ص ٣٥٧، طبعة مطبعة الاستقامة ١٣٥٨: **خرجت ابنَةُ عقيلِ بن أبي طالبٍ ومعها نساؤها وهي حاسرةٌ تَلوي بثوبها وهي تقول....**

ثُمَّ قَالَ عَمْرٌو: وَاعِيَةٌ كَوَاعِيَةِ عُثْمَانَ. ثُمَّ صَعَدَ المِنْبَرَ فَأَعْلَمَ النَّاسَ قَتْلَهُ.[1]

هدف معاوية ويزيد ومَن تابعهما في الدنيا هو هدم قدسيّة القرآن

لقد كان الهدف من إيراد هذه الحكايات من سيرة معاوية ويزيد بيان أنّ معارضتهم ووقوفهم بوجه أصل القرآن وحقّانيّته والعمل به قد ظهر بهذه الكيفيّة.[2] فالحقد على رسول اللَه هو حقد على القرآن؛ والعداء لأمير المؤمنين وأولاده عداء مع القرآن، ذلك لأنّ رسول اللَه وأمير المؤمنين والأئمّة من آله الميامين هم حقيقة القرآن.

إنّ هؤلاء المترفين والمستكبرين، المغرورين بعالم المادّة، والمغمورين في وادي الشهوات والنزوات، الذين

---

[1] «مروج الذهب» ج ٣، ص ٦٨، طبعة دار الأندلس؛ و«البداية والنهاية» ج ٨، ص ١٩٧ و١٩٨؛ و«الكامل في التاريخ» ج ٣، ص ٣٠٠، طبعة المطبعة المنيريّة بمصر سنة ١٣٥٦، وفي طبعة دار صادر بيروت سنة ١٣٨٥: ج ٤، ص ٨٨ و٨٩؛ وذكرها أبو ريحان البيرونيّ في «الآثار الباقيّة» ص ٣٢٩، طبعة ليدن.

[2] «الكامل في التاريخ» ج ٤، ص ٨٩، طبعة بيروت.

أسكرتهم رياح الرياسة والجاه، حين لمسوا عجزهم عن استئصال ظاهر القرآن، وعرفوا أنّ ذلك لا يخدم مصالحهم ورأوا [أنّه] لا يمكنهم الوصول إلى هدفهم الفاسد بما يريدون إلاّ بالقضاء على حقيقة القرآن بمنع العمل به وبإلغاء قوانينه في البلاد الإسلاميّة، تماماً كما أكدّ غلادستو ن[1] رئيس حزب الأحرار والصدر الأعظم

---

[1] والأدهى من كلّ ذلك والأمرّ هو اعتقاد البعض بحقّانيّة خلافته وامتناعه من لعنه، وقد طبع السعوديّون في السعوديّة في أيّامنا هذه كتاباً باسم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يدرّس في مدارسهم؛ يقول السيّد شرف الدين في هامش ص ١١٩ من «الفصول المهمّة»: بل اعتقد قوم من الجمهور أنّ يزيد كان من أولياء اللَه، وأنّ من توقّف فيه وقفه اللَه على نار جهنّم، فراجع ما حكاه ابن تيميّة عنهم في الرسالة السابعة من مجموعة الرسائل الكبرى في صفحة ٣٠٠ من جزئها الأوّل.

ونقل القسطلانيّ في باب ما قيل في قتال الروم من كتاب الجهاد من «إرشاد الساريّ في شرح صحيح البخاريّ» في ج ٦، ص ٢٣٠، عن المهلّب أنّه كان يقول بثبوت خلافة يزيد وأنّه من أهل الجنّة.

ونقل ابن خلدون في صفحة ٢٤١ أثناء الفصل الذي عقده في مقدّمته لولاية العهد عن القاضي أبي بكر ابن العربيّ المالكيّ أنّه قال في كتابه الذي سمّاه بـ «العواصم والقواصم» ما معناه: **أنّ الحسين قُتل بشرع جدّه صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وآلِهِ وسَلَّمَ.**

وذكر ابن الأثير في عدّة حوادث سنة ٥٨٣ في آخر ورقة من الجزء الحادي عشر من كامله أنّ في تلك السنة مات عبد المغيث بن زهير ببغداد، قال: وكان من

الإنجليزيّ، الذي يرجع إلى أمر تقوية الحركة الصهيونيّة في العالم في خطابه وكلامه.

لذا فهم في نفس الوقت الذي يذيعون فيه القرآن في الإذاعات ويهتفون به من على المآذن، فقد كانوا يسوقون الناس إلى وادي الغفلة والسكرة، حتى إذا ذهبت السكرة وبدأ هؤلاء يفيقون وشرعوا يتطّلعون حولهم ويحاولون اكتشاف ما ضاع منهم، شاهدوا- ويا للهول- أنّ السيل قد جرف كلّ شيء، المزرعة والبستان، المسجد والمدرسة، الزوجة والولد؛ ثمّ علتهم فجأةً الموجة الأخيرة للسيل العارم فقذفت بهم إلى ديار الفناء والعدم.

كان تأريخ سيّد الشهداء عليه السلام أُنموذجاً لنا وقدوةً إلى يوم القيامة تعلّمنا مدى الأهمّيّة الكبيرة للقيام

أعيان علماء الحنابلة قد سمع الحديث الكثير وصنّف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب، وقد ردّ عليه أبو الفرج ابن الجوزيّ وكان بينهما عداوة.

ويقول آية اللَه السيّد شرف الدين: والذين عذروا يزيد من أوليائه واعتذروا عنه كثيرون، منهم ابن تيميّة فيما تقدّمت إليه الإشارة من رسالته السابعة، والغزّاليّ في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان من «إحياء العلوم» ج ٣، ص ١١٢.

بالحقّ والقسط وإعلان كلمة الحقّ، والسعي لتقويم المسار المنحرف للطغاة المترفين، ويعلّمنا كذلك أنّ العدوّ في الجانب الآخر من هذا الصراع والمعركة لا يدّخر جهداً عن السعي بجدّيّة للقضاء على شخص وشخصيّة ووجود الحقّ والحقيقة، وإلى طمس الآثار والخصائص والأخبار؛ فيأمر عشرة من الفرسان ليمتطوا خيولهم فيهجموا بقساوة على البدن القتيل الطريح على الأرض بلا رأس فيطأوه!!

و لم يكن ذلك في الحقيقة ليمثّل ركل ورضّ البدن، بل ركلاً ورضّاً لروحه وحقيقته وشخصيّته، بياناً للعالم والعالمين بأنّ من كان منطقه كمنطق الحسين هذا، فعاقبته هذه!

و من المطالب المهمّة أنّ بين أميّة كانوا بعد واقعة كربلاء يعملون على هيئة نعل الخيول فيسمّرونها على أبواب دورهم!!

يقول المقرّم في مقتله نقلاً عن «الآثار الباقية» للبيرونيّ:

لَقَدْ فَعَلُوا بِالحُسَيْنِ مَا لَمْ يُفْعَل في جَمِيعِ الامَمِ بِأَشْرَارِ الخَلْقِ مِنَ القَتْلِ بِالسَّيْفِ والرُّمْحِ وَالحِجَارَةِ وإِجْرَاءِ الخُيُولِ.[1]

[كلام البيرونيّ في بيان سرّ وضع بني أميّة لنعال الخيول على أبواب دورهم]

ثمّ ينقل في ذيل هذا المطلب عن كتاب «التعجّب» للكراجكيّ، ص ٤٦، المُلحق بـ«كنز الفوائد»:

وَ قَدْ وَصَلَ بَعْضُ هَذِهِ الخُيُولِ إلى مِصْرَ فَقُلِعَتْ نِعَالُهَا وسُمِّرَتْ عَلَى أَبْوَابِ الدُّورِ تَبَرُّكاً. وجَرَتْ بَذَلِكَ السُّنَّةِ عِنْدَهُم؛ فَصَارَ أَكْثَرُهُمْ يَعْمَلُ نَظِيرَهَا ويُعَلِّقُ عَلَى أَبْوَابِ الدُّورِ.[2]

لكنّنا ننقل هنا عين عبارة البيرونيّ التي هي أشدّ إيلاماً للقلوب وتصديعاً للأكباد من حكاية المقرّم ونقله:

---

[1] «مقتل الحسين عليه السلام» للسيّد عبدالرزّاق المقرّم، ص ٣٦١، عن «الآثار الباقية» ص ٣٢٩، طبعة ليدن.

[2] «مقتل الحسين عليه السلام» ص ٣٦٢، عن «الآثار الباقية» ص ٣٢٩.

وَ اتَّفَقَ فِيهِ (أي في العَاشِرِ مِنَ المُحَرَّمِ) قَتْلُ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وفُعِلَ بِهِ وبِهِمْ مَا لَمْ يُفْعَلْ في جَمِيعِ الامَمِ بِأَشْرَارِ الخَلْقِ مِنَ القَتْلِ بِالعَطَشِ وَالسَّيْفِ والإِحْرَاقِ وصَلْبِ الرُّؤُوسِ وإِجْرَاءِ الخُيُولِ عَلَى الأَجْسَادِ فَتَشَاءَمُوا بِهِ.

ثمّ يضيف البيرونيّ بعد ذلك: وأمَّا بَنُو امَيَّة فقد لبسوا فيه ما تجدّد، وتزيّنوا واكتحلوا وعيّدوا، وأقاموا الولائم والضيافات، وطعموا الحلاوات والطيّبات، وجرى الرسم في العامّة على ذلك أيّام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم.

و أمَّا الشِّيعَة فإنّهم ينوحون ويبكون أسفاً لقتل سيّد الشهداء فيه، ويظهرون ذلك بمدينة السلام (مدينة الرسول) وأمثالها من المدن والبلاد، ويزورون فيه التربة المسعودة بكربلاء، ولذلك كره فيه العامّة من تجديد الأواني والأثاث.[1]

---

[1] «الآثار الباقية عن القرون الخالية» لأبي ريحان محمّد بن أحمد البيرونيّ الخوارزميّ، ص ٣٢٩، طبعة ليدن.

[شعر الفقيه اليمني عمارة في عداء بني أميّة لآل الرسول]

و لقد أبدع الفقيه والعالم والشيخ اليمني عمارة في تعريضه بقصيدة رائعة على كلام يزيد واستكباره وبهتانه

يقول آية اللَه السيّد شرف الدين العامليّ رحمة اللَه عليه في كتاب «النّص والاجتهاد» ص ٣٤١ و٣٤٢، الطبعة الثانية: وفظائع يزيد من أوّل عمره إلى انتهاء أمره أكثر من أن تحويها الدفاتر أو تحصيها الأقلام والمحابر، وقد شوّهت وجه التأريخ وسوّدت صحائف السير، وكان أبوه معاوية يرى كلابه وقروده، وصقوره وفهوده، ويطّلع على خموره وفجوره، ويشاهد الفظائع من اموره، ويعاين لعبه مع الغواني، ويعرف لؤمه وخبثه بكلّ المعاني ويعلم أنّه ممّن لا يؤتمن على نقير ولا يدلّي أمر قطمير، فكيف رفعه والحال هذه إلى أوج الخلافة عن رسول اللَه؟ وأحلّه عرش الملك وإمامة المسلمين؟ وملّكه رقاب الامّة؟

فغشّها بذلك وقد قال رسول اللَه (فيما أخرجه البخاريّ في الورقة الاولى من كتاب الأحكام، ص ١٥٥ من الجزء الرابع من صحيحه): مَا مِن وَالٍ يَلي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إلَّا حَرَّمَ اللَهُ عَلَيهِ الجَنَّةِ.- انتهى. (و كذلك أورد هذه الرواية مسلم في صحيحه، ج ١، ص ٦٧، باب استحقاق الوالي الغاشّ لرعيّته).

وروى الإمام أحمد من حديث أبي بكر في الجزء الأوّل من مسنده، ص ٦، أنّ رسول اللَه صلّى اللَه عليه] وآله [و سلّم قال:

مَن ولي من امور المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة، فعليه لعنة اللَه. لا يقبل منه صَرفاً ولا عدلًا حتى يُدْخله مُدْخَلَهُم.

وأخرج البخاريّ في الورقة المذكورة من صحيحه أنّ رسول اللَه صلّى اللَه عليه [و آله] وسلّم قال: ما مِن عبدٍ استرعاه اللَهُ رعيّته فلم يُحِطْها بنصيحةٍ إلّا لم يجد رائحة الجنّة- انتهى.

وفضيحته مقابل إمام الزمان وقطب دائرة الإمكان والحجّة على جميع الخلائق، ولِلَّهِ دَرُّهُ وعَلَى اللهِ أَجْرُهُ:

إنّ تدبير اللَه سبحانه لعجيب حقّاً، وكيف أنّه في إتمامه الحجّة على الناس ينبعث شخص فاسقٌ تافهٌ وغير لائق بكلّ معنى الكلمة فيقف في مواجهة الإمام بالحقّ والنور المطلق، وينتحل لنفسه اسم النزيه الطيِّب ويدعو مقابله بالخبيث؛ لَيصدق هنا حقّاً وقوف مركَزَي النور والظلمة أمام بعضهما وجهاً لوجه.

يقول الضَحَّاك بن عبداللَه، وهو من أنصار سيّد الشهداء عليه السلام: ومرّ بنا ليلة عاشوراء خيل لابن سعد تحرسنا وإنّ حُسيناً عليه السلام ليقرأ:

{وَ لا يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ولَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۞ مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} .[1] فسمعها من تلك الخيل رجل يقال له عبدالله بن سمير وكان مضحاكاً وشجاعاً بطلاً فارساً فاتكاً ومن الأشراف.

فقال: نَحْنُ ورَبِّ الكَعْبَةِ الطَّيِّبُونَ مَيَّزَنَا مِنْكُمْ!

فقال له بُرَير بن خُضَير: يا فاسق! أنت يجعلك الله من الطيّبين؟!

فقال له: مَن أنتَ ويلك؟ فقال له: برير بن خضير، فتسابّا.[2]

[قراءة رأس الإمام الحسين عليه السلام المقطوع آية الكهف من على الرمح]

و روى كلاً من الشيخ المفيد وأمين الإسلام الطبرسيّ، أنّه: بعد أن جيء برأس الحسين عليه السلام إلى

---

[1] «الغدير» ج ٤، ص ٣٥٦ و٣٥٧.

[2] «الإرشاد» للمفيد، ص ٢٥٢، الطبعة الحجريّة.

عبيد الله بن زياد، ووردت زينب سلام الله عليها والسبايا مع السجّاد عليهم السلام، وكان من زينب سلام الله عليها ذلك الكلام والاحتجاج البديع، فلمّا أصبح عبيد الله بن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام على رمح فدير به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها.

فروى عن زَيْدِ بنِ أرْقَمٍ أَنَّهُ قَالَ: مُرَّ بِهِ عَلَيَّ وهُوَ عَلَى رُمْحٍ وأَنَا في غُرْفَةٍ لِي، فَلَمَّا حَاذَانِي سَمِعْتُهُ يَقْرَا:

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا}[1].

فَقَفَّ واللهِ شَعْرِي ونَادَيْتُ: رَأْسُكَ واللهِ يَا بنَ رَسُولِ اللهِ أَعْجَبُ وأَعْجَبُ![2]

---

[1] الآية ٩، من السورة ١٨: الكهف.

[2] «الإرشاد» ص ٢٦٦ و٢٦٧؛ و«إعلام الوري» ص ٢٤٨.

يقول آية الله الحاجّ الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء رحمة الله عليه في كتاب «جنّة المأوي» ص ٣٧٠ و٣٧١ من الطبعة الثانية، ضمن بحث بعنوان هل تكلَّم رأسُ الحسين عليه السلام: ولرئيس المحدّثين الشيخ الصدوق رحمة الله عليه كلمات نيّرة صدع بها في جواب السلطان ركن الدولة رحمة الله عليه لها تعلّق تامّ بهذا الموضوع لا بأس بنقلها لتزيد بصيرة القارئ الكريم:

وقد نقل في ترجمة الشيخ الصدوق رحمة اللَه عليه أنّ السلطان ركن الدولة جلس يوماً على عرش السلطنة وشرع في الإطراء والثناء على الشيخ الصدوق رحمة اللَه عليه، لأنّه رأى قبل ذلك اليوم بيانات الشيخ رحمة اللَه عليه وتكلّماته المذهبيّة على ضوء العلم والمنطق، فاعترض أحد الحضّار على السلطان: أنّ اعتقاد الشيخ رحمة اللَه عليه على أنّ رأس سيّد الشهداء عليه السلام يوم حُمل على القناة كان يقرأ سورة الكهف. فقال الملك: لم أسمع منه هذه المقالة ولكن أسأله. فكتب إليه يستفتيه ويسأله عن هذا المطلب.

فكتب الشيخ الصدوق رحمة اللَه عليه في الجواب: أنّ هذه الرواية محكيّة ممّن سمع من رأسه المطهّر أنّه يقرأ عدّة آيات من سورة الكهف، إلّا أنّه غير منقول من أحد الأئمّة المعصومين عليهم السلام، ومع ذلك لا ننكره، بل هو صواب، لأنّا إن جوّزنا في يوم الحشر تكلّم أيدي الظالمين والعاصين وأرجلهم كما نطق به القرآن وقال تعالى: {اليوم نَخْتِمُ عَلَى أفْوَاهِهِمْ وتُكَلِّمُنَا أيدِيهِمْ وتَشْهَدُ أرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. (الآية ٦٥، من السورة ٣٦: يس)، فكذا يجوز أن ينطق رأس الحسين عليه السلام ويتلوا القرآن، لكونه خليفة اللَه وإمام المسلمين ومن شباب أهل الجنّة وسيّدهم وسبط النبيّ صلّى اللَه عليه وآله وابن وصيّه، امّه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين صلوات اللَه عليهم أجمعين، بل إنكار هذا المطلب يؤول في الحقيقة إلى إنكار قدرة اللَه تعالى وفضل الرسول صلّى اللَه عليه وآله وسلّم.

والعجب ممّن ينكر صدور أمثال هذه الأمور ممّن بكى عليه الملائك في مصيبته وتقاطر الدم من السماوات في رزّيته وناح عليه الجنّ بأصواته. ومن أنكر هذه الأخبار وخوارق العادات مع كونها صحيحة فيجوز له إنكار جميع الشرائع والمعجزات الصادرة من النبيّ والأئمّة عليهم السلام، بل وجميع الضروريّات الدينيّة والدنيويّة، فإنّها أيضاً قويّة السند صحيحة الطرق، قد حصل لنا العلم بمضامينها.

[مراثي حجّة الإسلام نيّر التبريزيّ في عظمة بُراق عشق الإمام الحسين عليه السلام]

و ينشد هنا حجّة الإسلام نيّر التبريزيّ رضوان اللّه عليه في مقام العجب والدهشة:

و هذه المرثيّة، كسائر مراثيه الاخرى، في أعلى درجات الروعة والعظمة، وأوّلها يبدأ بهذه الأبيات:

إلى آخر هذه المرثيّة ذات النظرة الواقعيّة.

و من بين مراثيه الرائعة:

[ملاحظة: انتخب هذا البحث من الجزء الثاني من كتاب »نور ملكوت القرآن« ، تأليف المرحوم العلاّمة آية اللَه الحاج السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ رضوان اللَه عليه، وقد تمّ توثيقه ومقارنته مع المصدر الفارسي من قبل الهيئة العلميّة في لجنة الترجمة والتحقيق، و تجدر الإشارة إلى أنّ العبارات و الهوامش التي وقعت بين معقوفتين هي من الهيئة العلميّة]